





جامعة تيسمسيلت

المعيار

مجلة نصف سنوية متعددة التخصصات

مصنفة " C "

في الآداب، الحقوق والعلوم السياسية، العلوم الاقتصادية
والعلوم الإنسانية والاجتماعية

عدد خاص أبريل 2024

EISSN 2602-6376

ISSN 2170-0931

المعيار

مجلة نصف سنوية متعددة التخصصات
مصنفة " C "



شروط النشر وضوابطه

-المعيار مجلة علمية مصنفة تنشر البحوث الأكاديمية والدراسات الفكرية والعلمية والأدبية التي لم يسبق نشرها من قبل.

- دورية تصدر مرتين في السنة عن جامعة بتيسمسيلت. الجزائر.

- تُقبل البحوث باللغات العربية والفرنسية والانجليزية.

- ضرورة وجود مختصر أو تمهيد للمقال سواء باللغة العربية أو الأجنبية.

- تخضع البحوث والدراسات المقدمة للمجلة للشروط الأكاديمية المتعارف عليها.

- تخضع البحوث للتحكيم من طرف اللجنة العلمية للمجلة.

- تتم الكتابة بخط (Traditional Arabic) حجم (15)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم (14).

- تتم كتابة البحوث كاملة أو الفقرات والمصطلحات والكلمات باللغة الأجنبية داخل البحوث المكتوبة باللغة

الفرنسية بخط (Times new roman) حجم (12)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم (10).

- تكون الهوامش والإحالات على طريقة أسلوب APA

- لا يقل حجم البحث عن 08 صفحات ولا تتجاوز 15 صفحة.

- المواد المنشورة تعبر عن آراء أصحابها، والمجلة غير مسئولة عن آراء وأحكام الكتاب. كما أن ترتيب البحوث يخضع لاعتبارات تقنية وفنية.

المدير المسنول عن النشر

أ. د. عيساني امحمد.

المعيار

عدد خاص أبريل 2024

مجلة نصف سنوية متعددة التخصصات

مصنفة " C "

تصدر عن جامعة تيسمسيلت - الجزائر

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير

عن طريق البوابة الإلكترونية www.asjp.cerist.dz

جامعة تيسمسيلت. الجزائر.

البريد الإلكتروني: www.cuniv.tissemsilt.dz

EISSN 2602-6376

ISSN 2170-0931

رئيس المجلة:

أ. د. دهوم عبد المجيد

المدير المسؤول عن النشر:

أ.د. عيساني محمد

رئيس التحرير:

أ.د. مرسي رشيد.

نواب رئيس التحرير:

أ.د. واضح أحمد الأمين، أ.د. علاق عبد القادر، أ.د. العيداني الياس، أ.د. عطار خالد، أ.د.

لكحل فيصل، أ.د. قاسم قادة د. دهقاني أيوب، د. بوسكرة عمر.

سكرتيرا المجلة:

عرجان نورة، سلطاني محمد رضا

هيئة التحرير:

أ.د. غربي بكاي، أ.د. قاسم قادة، د. عطار خالد، د. صالح ربوح، أ.د. مصايح محمد، د. بن رابح خير الدين، د. بوسيف إسماعيل، أ.د. بوراس محمد، أ. د. شريط عابد، د. محي الدين محمود عمر، أ.د. روشو خالد، أ.د. العيداني إلياس، أ.د. فايد محمد

الهيئة العلمية:

من جامعة تيسمسيلت: أ.د. بشير دردار، أ.د. بن فريجة الجلالي، أ.د. أحمد واضح أمين، أ.د. تواتي خالد، د. ربوح صالح، أ.د. غربي بكاي، أ.د. بوركبة ختة، أ.د. طعام شاحنة، أ.د. شريف سعاد، أ.د. يعقوبي قدوية، أ.د. مرسل مسعودة، أ.د. بن علي خلف الله، أ.د. رزايقية محمود، د. بوغاري فاطمة، أ.د. قردان ميلود، أ.د. يونس محمد، أ.د. فتوح محمود، أ.د. عيسى حورية، د. بوضوار صورية، وسواس نجاة، أ. د. بوزيان أحمد، من جامعة صفاقس، تونس: أ. د. عبد الحميد عبد الواحد، د. بوبكر بن عبد الكريم، من جامعة المنصورة، مصر: د. محمد كمال سرحان، من جامعة طرابلس، ليبيا: د. أحمد رشراش، من الجامعة الأردنية، الأردن: أ. د صادق الحايك، من جامعة الجزائر 03، الجزائر: د. فتحي بلغول، من جامعة لمين دباغين، سطيف: أ. د بوطالي بن جدو، من جامعة وهران: أ. د. مخطار حبار، من جامعة سيدي بلعباس: أ. د. محمد بلوحي، من جامعة سعيدة: د. عبد القادر راجحي، من جامعة تلمسان: أ. د. محمد عباس، أ. د. عبد الجليل مرتاض، من جامعة تيزي وزو: أ. د. مصطفى درواش، من جامعة مستغانم: د. منصور بن لكحل، من جامعة زيان عاشور، الجلفة: د. حربي سليم، د. علة مختار، عروي مختار، من جامعة حسيبة بن بوعلي، شلف: أ. د حفصاوي بن يوسف، أ. د موسى فريد، د. بوراس محمد، د. علاق عبد القادر، د. روشو خالد، أ.د. مرسي مشري، د. لعروسي أحمد، د. قززان مصطفى، د. زرقين عبد القادر، د. محمودي قادة، أ.د. العيداني إلياس، د. عيسى إسماعيل، د. بوزكري الجليلي، د. ضويفي حمزة، د. كروش نور الدين ، د. بوكريد عبد القادر، د. عادل رضوان. من جامعة ابن خلدون تيارت: أ. د. عليان بوزيان، أ. د. فتاك علي، أ. د. بو سماحة الشيخ، أ. د. بن داود إبراهيم، أ. د.

شريط عابد. UNIVERSITIE PAUL SABATIER TOULOUZE 03. FRANCE: CRISTINE

Mensson

كلمة العدد الخاص بالملتقى

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يأتي هذا العدد الخاص من إعداد مجلة المعيار، مجلة مصنفة (C)، كجمع لأعمال الملتقى الوطني الذي عقد بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون، تيارت، بتاريخ 05 مارس 2024، إشراف "مخبر الدراسات الفلسفية وقضايا الإنسان والمجتمع في الجزائر"، في سلسلة نشاطات الفرقة رقم (01) بعنوان "أسس ومرجعيات الفكر الجزائري" وبالتنسيق مع مشروع البحث PRFU-2023 بعنوان "سؤال الثقافة في الفكر الجزائري المعاصر" برئاسة أ.د. / لكحل فيصل.

تكمن أهمية أعمال هذا الملتقى "الفلسفة وسؤال الثقافة في الجزائر" في كونها تستحضر البعد الفلسفي في فهم ما ندعوه (ثقافة؟)، أو من خلال مقارنة مسألة الثقافة في أفق المسألة الفلسفية، لا من حيث كون الفلسفة نظرية في الثقافة تبغى التنظير أو التأسيس لما هو ثقافي، لأن مسألة الفلسفة في الجزائر هي بحد ذاتها بحث إشكالي يحتاج هو الآخر إلى أن يفكر وأن يسأل: هل هناك فعلا فلسفة في الجزائر يمكنها أن تؤسس لما هو ثقافي؟ ولهذا السبب بالضبط فإن ما ندعوه (فلسفي) وما ندعوه (ثقافي) يتجاوز بشكل مطلق التأثير السببي أو البعد العلائقي إلى ما يفتح ماهية كل منهما على الآخر: ما الفلسفة؟ وما الثقافة؟

الكل يتكلم عن الثقافة الجزائرية في جميع أنواع الخطاب (الإعلامي، السياسي، الديني)، لكن هل فكرنا سؤال ما الثقافة الجزائرية؟ ما هي حدود استعمال هذه الكلمة (ثقافة)؟ هل هناك ثقافة بالمفرد؟ أم الثقافة "بال" التعريف؟ أم هناك ثقافات؟ ما الذي يمكن أن نسميه ثقافة في الجزائر؟ وإذا كان مفهوم (الثقافة) في منظور علم الإناسة والأنثروبولوجيا يتسع ليشمل كل ما هو عام وكلي في المجال الإنساني، كيف يمكن والحالة هذه أن نفكر (الثقافة) في الواقع النفسي والاجتماعيين الجزائري؟ ووفق أي منظور؟

إن الهدف الأقصى لأعمال هذا الملتقى هو تفكير هذه الأسئلة ومحاولة إيجاد الخط الناظم الذي يمكن أن ينتظم في أفقه التفكير الصحيح والسليم لما ندعوه ثقافي؟ وبالتالي تصحيح الكثير من المفاهيم الخاطئة والمتوارثة التي تأسست في الوعي الفردي والجماعي، ومحاولة قراءة التاريخ والحاضر في ضوء الفكر الذي يفكر الثقافة على محك المسألة الفلسفية.

وأخيرا نتمنى أن يجد القارئ في المداخلات التي يحملها هذا العدد بين دفتيه ما يثير حفيظتهم إلى طرح الأسئلة ويفتح باب المناقشة فيما بينهم لإزالة الالتباس والغموض حول الكثير من المسائل الشائكة في فهم مسألة الثقافة في الجزائر.

ومن باب شكر أهل الفضل على فضلهم أتقدم باسمي ونيابة عن الهيئة العلمية والتنظيمية للملتقى بجزيل الشكر إلى الطاقم المشرف على مجلة المعيار، على رأسهم الأستاذ الدكتور "دهوم عبد المجيد" رئيس المجلة، والأستاذ الدكتور "عيساني امحمد" المدير المسؤول على النشر، ورئيس التحرير الأستاذ الدكتور "مرسي رشيد"، ونواب رئيس التحرير، كما لا ننسى السيدة "عرجان نورة" سكرتيرة المجلة، الذين لم يدخروا جهدا على المساهمة في نشر أعمال الملتقى وإعادة تحكيمها وترتيبها، فلهم جزيل الشكر والامتنان.

أ.د. لكحل فيصل

رئيس الملتقى، المشرف على العدد

محتويات العدد

الرقم	الموضوع	الصفحة
	كلمة العدد: أ.د. لكحل فيصل	هـ
01	إبستمولوجيا الفكر والثقافة لدى محمد أركون ط.د. سفيان جويده، جامعة ابن خلدون، تيارت-الجزائر-	09-1
02	أبو القاسم سعد الله وإسهاماته في الحفاظ على الهوية الثقافية من خلال مؤلفه (تاريخ الجزائر الثقافي) الجزائرية ط.د. بوحسين جلول، جامعة ابن خلدون، تيارت-الجزائر-	22-10
03	البخاري حمادة وقراءته الفلسفية والثقافية للثورة التحريرية من خلال مؤلفه "فلسفة الثورة الجزائرية" ط.د. حميدة فاطيمة، جامعة ابن خلدون، تيارت-الجزائر-	38-23
04	الثقافة المتأصلة ودورها في بناء المجتمع عند مولود قاسم د. مبارك فضيلة، جامعة ابن خلدون، تيارت-الجزائر-	46-39
05	الثقافة ودورها في بناء الوعي السياسي قراءة في فكر مالك بن نبي ط.د. عبايد نورية، جامعة ابن خلدون، تيارت-الجزائر-	55-47
06	الخطاب الفلسفي ورهانات الوعي الثقافي في مشروع عبد الله شريط د. نصيرة بوطغان، جامعة سطيف2	66-56
07	العلاقة بين الفلسفة والثقافة وأثرها في الجزائر د. رايح عيسو، أستاذ محاضر بجامعة الجزائر2	78-67
08	الفعل الثقافي ودوره في بناء الفرد والمجتمع عند مالك بن نبي ط.د. بوبكر عبد النور، جامعة ابن خلدون، تيارت-الجزائر-	88-79
09	المنطلقات الفكرية في النص الخلدوني د. قاتل إلهام، جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي-تيسمسيلت-الجزائر-	101-89
10	المنهج التاريخاني في فكر محمد أركون د. سحوان رضوان، جامعة ابن خلدون، تيارت-الجزائر-	110-102
11	حضور المثقف وغياب المثقف النقدي في اليومي الجزائري د. محمدي بلخير، جامعة مولود معمري تيزي وزو	127-111
12	فلسفة الثقافة السياقات والمفاهيم، بين تعدد المعاني والدلالات ووحدها أحمد مارييف، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر	141-128
13	مقتضيات التأسيس لخطاب فلسفي في الجزائر "جدلية الثقافي والفلسفي" د. بهلول عبد القادر، جامعة ابن خلدون، تيارت-الجزائر-	151-142

البخاري حمانة وقراءته الفلسفية والثقافية للثورة التحريرية من خلال مؤلفه "فلسفة الثورة الجزائرية"

Al-Boukhari Hammana and his philosophical and cultural reading of the Liberation Revolution through his book "The Philosophy of the Algerian Revolution"



ط.د حميدة فاطيمة

مخبر الدراسات الفلسفية وقضايا الإنسان والمجتمع في الجزائر

جامعة ابن خلدون – تيارت – الجزائر-

fatima.hamida@univ-tiaret.dz

تاريخ الإرسال: 2023/09/19 تاريخ القبول: 2024/02/13

ملخص:

شكلت كل من الفلسفة والثقافة، أحد المقومات الأساسية لثورة الفاتح من نوفمبر 1954، وبذلك كان لكل منهما دور فعال وبارز في تشكيل الفكر الثوري من جهة، وتأكيد الهوية الثقافية العربية الإسلامية للمجتمع الجزائري من جهة أخرى، والحديث في هذا الشأن، يدفعنا بالضرورة إلى التطرق لأحد قامات الفكر والثقافة في الجزائر، وهو الدكتور البخاري حمانة، الذي عمل من خلال مؤلفه "فلسفة الثورة الجزائرية" على دراسة ثورة التحرير من الناحية الفكرية والثقافية دراسة فلسفية مبينة بأنها لم تكن مجرد انتفاضة شعبية عثية قط، بل قادها رجالات فكر استلهموا مبادئها وأسسها من الإرث العربي الإسلامي ونجحوا بالتالي في إجهاض كل المخططات الاستعمارية الهادفة لتشويه الهوية الثقافية العربية الإسلامية الجزائرية، وتمكن أبناء الجزائر في النهاية من القيام بأعظم ثورة تحريرية في العصر الحديث التي غيرت مجرى التاريخ الجزائري، وأدت إلى ولادة دولة جزائرية جديدة تقوم على الكرامة والحرية والديمقراطية.

الكلمات المفتاحية: البخاري حمانة، الفلسفة، الثقافة، المثقف، الثورة الجزائرية.

Abstract:

Both philosophy and culture formed one of the basic components of the Revolution of the first of November 1954. Thus, each of them had an effective and prominent role in shaping revolutionary thought on the one hand and affirming the Arab-Islamic cultural identity of Algerian society on the other hand. The discussion in this regard necessarily prompts us to address. One of the stalwarts of thought and culture in Algeria is Dr. Al-Boukhari Hammana who worked through his book "The Philosophy of the Algerian Revolution" to study the liberation revolution from an intellectual and cultural perspective, a philosophical study, indicating that it was not just an absurd populist uprising at all, but rather it was led by men of thought who were inspired by its fields and foundations from the Arab heritage. Thus, they succeeded in aborting all the colonial plans aimed at the Algerian Arab-Islamic cultural distortion, and the people of Algeria were able in the end to carry out the greatest liberation revolution in the modern era that changed the course of Algerian history and led to the birth of a new Algerian state based on dignity, freedom and democracy.

Key words: Al-Boukhari Hammana, philosophy, culture, intellectual, the Algerian revolution

ط.د. حميدة فاطيمة

مقدمة

يعتبر المشروع الثوري الجزائري ضد المستعمر الفرنسي مشروع متكامل الأركان وذلك لارتباطه بمنظومة قيمية وفكرية نابعة من الهوية العربية الإسلامية، متضمنة لقيم إنسانية عليا كالحرية والإخاء والمساواة والديمقراطية، وهذا ما منحها مشروعية الفعل الثوري السياسي والمسلح، الذي كان يهدف للتصدي للمحاولات الرامية للإطاحة بالمنظومة الأخلاقية للفرد والهادفة لتفكيك البنى الدينية والسوسيوقافية للمجتمع الجزائري متسترة تحت غطاء نشر التنوير والوعي الحضاري.

لذلك كان الفاتح من نوفمبر 1954 بمثابة المعضلة التي أصبحت تؤرق الكيان الاستعماري وتهدد وجوده لا في الجزائر فقط وإنما في كل المستعمرات الإفريقية، وحاولت تشويه هذا الحدث الثوري وذلك بوصفه بالأعمال الإرهابية والبربرية الهمجية، هذا التوجه الإيديولوجي المتطرف ألقى بضلاله على الكثير من الدراسات المتعلقة بالثورة الجزائرية ووصفها بالانتفاضة الشعبية سواء أثناء الثورة أو بعدها. هذه الادعاءات شكلت حافز لرجال الثقافة في الجزائر لإبراز الجذور الفكرية والثقافية لحرب التحرير وفي مقدمتهم البخاري الذي عمل من خلال مؤلفه "فلسفة الثورة الجزائرية" على إبراز الحمولة الثقافية والفلسفية والأيدولوجية والقيمية للثورة النوفمبرية.

لذلك فإن الحفر عن الجذور الحقيقة للثورة الجزائرية وتحديد الطاقات المختلفة التي كانت وراء نجاحها يعد من بين أهم الحوافز التي دفعت البخاري حمانة لمحاولة تشرح ثورة نوفمبر، هذا ما يدفعنا نحن إلى طرح السؤال التالي: كيف تمكن البخاري حمانة من إبراز الجذور الفلسفية والثقافية لثورة التحرير الجزائرية؟ وإلى أي مدى نجحت فلسفة نوفمبر في الحفاظ الخصوصية الهوياتية للمجتمع الجزائري؟

حاولت من خلال هذه الورقة البحثية التي اعتمدت فيها على المنهج التحليلي توضيح القراءة الفلسفية والثقافية التي قدمها البخاري حمانة للثورة الجزائرية من خلال مؤلفه "فلسفة الثورة الجزائرية" والتي تعد فريدة من نوعها، لأن أغلب الدراسات المتعلقة بالثورة تهدف إلى وضعها في سياقها التاريخي، بينما حاول مفكرنا الخروج عن المؤلف من خلال وضع الثورة في سياقها الفكري والثقافي.

المبحث الأول: الجذور الفلسفية لثورة نوفمبر الجزائرية

إن الهدف الجوهرية الذي قامت لأجله ثورة نوفمبر المجيدة هو تغيير البراديغم الثقافي الذي فرضه الاستعمار الفرنسي لما يزيد عن قرن من الزمن، وفك الارتباط الهوياتي للمجتمع الجزائري بالمجتمعات الغربية، ولأجل هذا فإن الخطاب الثوري النوفمبري لم يكن خطابا عسكريا محضا وإنما كان وقبل كل شيء خطاب ذو جذور فلسفية نابعة من خلفية فكرية تتغذى من ثنائية الدين الإسلامي

واللغة العربية كمقومين رئيسيين للهوية الثقافية الجزائرية، وهذا ما عمل المفكر البخاري حمادة* على إبرازه من خلال توضيح الفرضيات والأسس الفلسفية للثورة.

المطلب الأول: الفرضيات الفلسفية لثورة التحرير الجزائرية

لقد شاع في الأوساط الفكرية، لدى العديد من المفكرين الأجانب أن ثورة نوفمبر ما هي إلا مجرد انتفاضة شعبية، ومن هذا المنطلق فإن هذه الثورة تفتقر لمفكرين الذين يتولون مهمة التنظير الفلسفي فما "حدث في نوفمبر 1954، كان في النهاية أقرب إلى العصيان والانتفاضة المسلحة" (حمادة، 2012، صفحة 160)، وبعيد كل البعد عن أي شكل من أشكال الفكر أو الفلسفة ويفتقر إلى الوعي الثقافي. إن الأحكام السابقة المجحفة في حق ثورة نوفمبر هي التي أثارت حفيظة رجال الفكر والثقافة في الجزائر، وأبرزهم البخاري حمادة، الذي سخر كل قواه الفكرية لإمالة اللثام عن حقيقة ثورة نوفمبر موضحا بذلك الفرضيات التي انطلقت منها وهي:

الفرع الأول: فرضية الحرية

إن الحرية تعد من الحقوق الطبيعية الملازمة للكينونة الإنسانية، وقد كفلتها جميع التشريعات والأديان السماوية والقوانين الوضعية، لكننا في مقابل ذلك إذا تأملنا الحركات الاستعمارية على مر التاريخ نجدها قد عملت على استعباد الشعوب وإذلالها، وأبرز شاهد على هذا الاستعمار الفرنسي الذي كرس كل مجهوداته في سبيل تشويه الوعي الجزائري، وخلق مجتمع أشبه ما يكون بمجتمعات الرقيق خاضع للسلطة الفرنسية مستسلم لأوامرها.

لكن شكل تجنيد فرنسا للجزائريين في الحربين العالميتين الأولى أو الثانية نقطة انعطاف في المسار السياسي للجزائر إبان حقبة الاستعمار، بحيث ساهم هذا الأمر بشكل تدريجي في بلورة ونضج الوعي الجزائري وذلك من خلال التعرف على الأحزاب الثورية الفرنسية وأحزاب العمال الرافعة لشعار المساواة والاحتكاك بالشعوب الأوروبية المتشعبة بمبادئ الحرية والديمقراطية، كل هذا يضاف له اطلاع الجزائريين على "نقط الرئيس ويلسون الأربع عشرة" (سعد الله، 1992، صفحة 285) التي تنص على حق الشعوب في تقرير المصير. هذه الأمور مجتمعة في نظر سعد الله "جعلت الجزائريين نشطين وواعين سياسيا" (سعد الله، 1992، صفحة 285) ومن هنا تعالت أصوات النخب الثقافية في الجزائر مطالبة بالمساواة والحرية وبدأ التغيير في مواقف الأحزاب السياسية التي كانت تطالب بالإدماج، وظهر هذا الوعي بشكل جلي في مظاهرات الثامن ماي 1945 حيث خرج الجزائريون رافعون لشعارات الحرية والديمقراطية

* البخاري حمادة (1937-2018) مفكر جزائري من واد سوف، كان مناضل في جبهة التحرير الوطني شغل العديد من المناصب الهامة في الدولة (بوعرفة عبد القادر ومضات من سيرة فيلسوف الثورة. أ.د. البخاري حمادة <https://bit.ly/4900366>)

وضيقت الخناق على فرنسا الاستعمارية التي لم تجد من سبيل لإخماد فتيل هذه المظاهرات إلا بارتكاب المجازر الدامية.

على خلفية الأحداث السابقة تبلور التنظير الفلسفي لثورة التحرير الرامي لانتشال الشعب الجزائري من مستنقع الذل والألم والإرهاب النفسي والإبادة الفردية والجماعية التي مارسها السلطة الاستيطانية لما يزيد عن قرن من الزمن، والعمل على "استعادة حرية الشعب الجزائري المغتصبة، وهي الحرية التي شكلت هدفها الأول والأخير" (حمادة، 2012، صفحة 165)، حيث تفنن المستعمر منذ سنة 1830 في فرض العقاب الفردي والجماعي ومحاربة كل شكل من أشكال الوعي أو الحرية سواء كانت دينية أو سياسية أو فكرية فاضاً بذلك سجن فكري على ملايين الجزائريين، لذلك فإن غاية الثورة تمثلت في تحطيم هذه القيود، من هنا نستوحي الفرضية الفلسفية الأولى التي قامت عليها الثورة التحريرية وهي فرضية الحرية. وهنا بالذات يكمن العمق الفلسفي للثورة الجزائرية، لأن الشعب الجزائري قد أدرك من خلال الممارسات الاستعمارية أن فرنسا لن تتمكن من الحرية والديمقراطية، بل على العكس من ذلك على من ذلك فهي لا تعمل سوى على توطيد هياكل الدولة الفرنسية على الأراضي الجزائرية، فأيقن العقل الجزائري بعد مرور وقت طويل ما سلب بالقوة لن يُسترجع إلا بالقوة.

لذلك نجد المطلب الحُرِّيَّاتي قد شكل المحور الجوهرى والأساسى للفكر الفلسفى الثورى لدى الفرد الجزائرى، كما أصبحت جزء لا يتجزأ من الشعارات الثورية الجزائرية التي حملها بين الفاتح من نوفمبر 1954، ومؤتمر الصومام 1956.

الفرع الثانى: فرضية الفكر الإيديولوجى الوطنى

نفى المستعمر الفرنسى عن الشعب الجزائرى أى شكل من أشكال الفكر أو القومية وهذا ما يتضح من خلال قول رئيس المجلس الفرنسى إميل روشيه "...لم تكن هناك حقيقة قومية بالجزائر عام 1830م، وإنما كان الركود السياسى والثقافى والاقتصادى" (قاسمى، 2009، صفحة 13)، فالمجتمع الجزائرى فى منظور روشيه لم يكن كيان منظم وسيادى وإنما كان مجرد تجمع لأفراد من البرابرة، إن هذا النفى الهوياتى والفكرى للشعب الجزائرى ومحاولة فصله عن انتمائه المغاربى والعربى، يمثل مقدمة لفرض هيمنة الأيديولوجيا الاستعمارية على كافة البنى الثقافية والدينية والسياسية والاجتماعية.

لكن هذه الأيديولوجيا الاستعمارية المتطرفة وعلى عكس ما كنت تدعى وتمنى قد واجهت صداماً عنيفاً بالأيديولوجيا الوطنية، التي تتغذى من العروبة كانتواء والإسلام كدين، ومن مثل هذه "الفكرة أو الأيديولوجيا الوطنية استقت فلسفة نوفمبر نظرتها المتميزة للواقع الوطنى الجزائرى، ومن مثلها كذلك استلهمت مفاهيمها الثورية وقيمها النضالية وأساليبها التعبيرية وشعاراتها السياسية"

(حمانة، 2012، الصفحات 184-185)، إن فلسفة الثورة الجزائرية بمفاهيمها وشعاراتها النضالية ظلت تؤكد على الامتداد الوجودي للأمة الجزائرية كجزء من الأمة العربية الذي يرجع إلى أربعة عشر قرناً مضت، ولعل أكبر شاهد على ذلك هو الشعار الثلاثي الذي رفعه زعماء الثورة والثوار معا وهو "الجزائر وطننا والإسلام ديننا والعربية لغتنا"

فالجزائر كانت وسوف تظل بأرضها وبشعبها وبتاريخها الثقافي العربي الإسلامي، تعبر عن تميزها ولم ولن تكون يوماً ما ولا بأي شكل من الأشكال تابعة لفرنسا، هذه الفرضية الأيديولوجية أدت إلى إفشال المخططات الاستعمارية الإدماجية الرامية إلى إلحاق الجزائر بفرنسا، مثل "دستور سنة 1848 الذي نص على أن الجزائر كانت تشكل جزءاً مكماً لفرنسا" (سعد الله، الحركة الوطنية (1900-1930)، 1992، صفحة 20)، ومشروع بلوم فيوليت سنة 1936 م وغيرهما من المشاريع الاستعمارية الخبيثة الأخرى. إن الفرضيات السابقة تكشف عن الجانب الفلسفي للثورة التحريرية من منظور البخاري حمانة فالنجاح الذي أحرزته على جميع الأصعدة يستحيل أن يتحقق بمثل تلك الوسائل المادية المتواضعة لولا استنادها على فكر إبداعي خلاق، الذي لم يتخذ من الكفاح المسلح غاية في حد ذاته بل اعتبره بمثابة وسيلة لتحقيق الحرية والديمقراطية، واسترجاع كرامته التي سلبها إياها المحتل، إن هذا الفكر البسيط نجح في تحقيق ما عجز كبار الفلاسفة عن تحقيقه بكل ما أوتوا من عبقرية فلسفية، إذ تمكن أبناء نوفمبر في غضون ثمانية سنوات من قلب الموازين كل الموازين لصالحهم، وتمكنوا من إفشال المخططات العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية لفرنسا الاستعمارية، لهذا يمكن القول أن ما حققته الثورة وفي مثل تلك الظروف كان أشبه بالمعجزة، هنا نستخلص أن ثورة التحرير لم تقم على دعائم مادية فقط بل فكرية كذلك.

بناء على ما سبق يمكن القول أن الدولة الجزائرية المعاصرة التي تنعم بالاستقلال والحرية والسيادة، ليست وليدة انتفاضة شعبية عفوية وعشبية، بل هي متولدة عن فلسفة جزائرية خالصة أبدعها أبناء الشعب الجزائري، وسوف يوطن هذه الفكرة أكثر مفكرنا البخاري حمانة من خلال عمله على الكشف عن الأسس الفلسفية للثورة التحريرية.

المطلب الثاني: ثورة التحرير وأسسها الفلسفية

تمثل الأسس الفلسفية التي قامت عليها ثورة نوفمبر أحد أهم عوامل نجاحها، إلى جانب أسسها المادية، وهذا التكامل والانسجام بين المادي والفلسفي، وهو الذي ساهم في سقوط الأقنعة وفضح الممارسات الاستعمارية اللاأخلاقية، لينتهي في الأخير بتفكيك الكيان الاستعماري الفرنسي، ولقد

ضمن البخاري "فلسفة الثورة" جل هذه الأسس والتي ويمكن تصنيفها إلى ما هو نظري وما هو تطبيقي وما مزج بين التنظير من جهة والفعل من جهة أخرى.

الفرع الأول: الأسس النظرية

1- التفاؤل: بعد استفاقة الوعي الجزائري وانهيار أسطورة فرنسا التي لا تهزم مع نهاية الحرب العالمية الثانية وزعزعة الكيان الوجودي لفرنسا الاستعمارية بعد هزيمتها في معركة ديان بيان فو بالهند الصينية، سنة 1954، وتعريتها أمام العالم، وبالتالي تيقن الجزائريون أن فرنسا ليست بتلك القوة المهولة التي تسوقها الصحافة الفرنسية، من هنا بدأت تنمو بذور التفاؤل لدى الجزائريين، نحو تفكيك قلاع المستعمر والظفر بالحرية، وإصلاح الدمار المادي والمعنوي الذي أحدثته الاستعمار الغاشم، هذا الاستعمار الذي وطن قواعده العسكرية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية لمدة قرن واثنا عشر وثلاثون سنة على الأراضي الجزائرية. لذلك فإن التفاؤل يمثل السبيل الوحيد للتخلص من الإرهاب النفسي الفرنسي، لهذا "لعل أول أساس من أسس فلسفة الثورة الجزائرية يتمثل في نظرتها المتفائلة والواعية للإنسان وللكون. لقد أرادت هذه الفلسفة أن تكون، أمام ذلك الواقع الاستعماري الذي كان يتخبط فيه الشعب الجزائري، فلسفة أمل، وكانت بالفعل كذلك" (حمادة، 2012، صفحة 215)، فالمهمة الجوهرية التي يضطلع بها المثقف الجزائري هي بث بصيص الأمل لدى أفراد المجتمع الجزائري الذين قد وقعوا في فخ الاستكانة والاستسلام وبالتالي نقلهم من "القابلية للاستعمار" (المحاسنة، 2022، صفحة 15)، على حدّ تعبير مالك بن نبي إلى القابلية للتحرر والاستقلال، وبالفعل حمل نوفمبر آمال الشعب الجزائري في الخلاص من اليأس الذي أغرقه فيه المستعمر، وهذا ما تحقق في النهاية من خلال الكفاح المستمر.

2- الوضوح: من طبيعة الإنسان أنه لا يسلم بالأفكار والحقائق إلا تلك التي يدركها إدراكا واضحا، نفس الأمر ينطبق على الثورة الجزائرية، فمن أجل إقناع أبناء الشعب الجزائري بضرورة تبني الفكر الثوري وبث الحماس التحرري بداخلهم، كان لابد أن يكون هنالك وعي جماهيري لأهداف وغايات هذه الثورة ولل فكرة التي سوف تقوم عليها قبل كل شيء، فالأمر يتعلق بالتضحية بالنفس والنفيس، ولأجل كل ذلك يجب أن يعي الفرد الجزائري من ذا الذي يقاتل؟ ولماذا يقاتله؟، فنجاح الفكر الثوري واعتناقه لدى الشعب متوقف على مدى وضوحه، "ولذلك التزمت فلسفة الثورة الجزائرية منذ أول لحظة لاندلاع ثورتها بالوضوح باعتباره المعيار الحقيقي لأي ثورة جديرة بهذا الاسم" (حمادة، 2012، صفحة 217)، لقد أعلنت فلسفة نوفمبر وبوضوح تام أن غاية ثورة نوفمبر هو الحرية والاعتراف بالدولة الجزائرية

المستقلة ولا سبيل للمفاوضة أو المساومة في هذا الخصوص وهذا ما ساهم في تقبل الشعب الجزائري للثورة واحتضانها والسعي عبر بوابة نوفمبر لاقتلاع الاستعمار من جذوره.

الفرع الثاني: الأسس العملية

1- العمل: إن تحقيق الفرضيات التي بنيت عليها ثورة التحرير رهين العمل، فبعد نجاح الفكري الثوري على المستوى النظري شرع رجال الفكر في الدراسة التحليلية المعمقة للأفعال التي من شأنها أن تساهم في نجاح المشروع الثوري، و"ذلك يعني أن المهم بالنسبة إلى فلسفة نوفمبر ولرجالاتها الأوائل، ليس التوقف عند مجرد التنظير للثورة فحسب، بل العمل كذلك في الوقت نفسه على تجسيدها فوق أرض الواقع" (حمانة، 2012، صفحة 220)، لهذا فإن المنطق الذي بنيت عليه فلسفة نوفمبر هو أن فرنسا قد استعمرت الجزائر بالعنف فإن حرية الشعب الجزائري لن تسترد عن طريق أساليب سلمية وفشل مختلف المفاوضات التي خاضتها مختلف الأحزاب السياسية قبيل حدث نوفمبر 1954 أكبر شاهد على ذلك، ولم يتبق أمام الجزائريين سوى أسلوب واحد وهو القوة محتذية في ذلك بتونس والمغرب ومصر. وقد مثلت ليلة الفاتح من نوفمبر وما تلاها من أعمال فدائية التجسيد الفعلي لمبدأ العمل.

إن أساس العمل يبين لنا بوضوح الانسجام والتكامل بين الفرضيات والأسس، وذلك لكون فرضية الحرية التي حركت الخطاب الثوري الجزائري شديدة التعلق بالعمل وهذا ما عبر عنه بولر عندما قال أن «الحرية ليست أمرا سهلا لأن تحقيقها يتطلب العمل الشاق، كما يتطلب الإبقاء عليها جهودا كبيرة" (بولر، صفحة 130)، فاستقراء التاريخ يكشف لنا بأن الجزائر وجل الدول المستعمرة قد دفعت ثمننا باهضا في سبيل تحصيل الحرية، ثم تواصل العمل بجهد للحفاظ عليها.

2- الديمقراطية: لقد سئم الشعب الجزائري الممارسات الاستعمارية ولم تعد تنطوي عليه خدعة الشعارات السياسية الطوباوية الفارغة، ولهذا فإن الكثير من الشعارات الثورية لدى الجزائريين سوف تأخذ محتوى عملي قابل للتطبيق وفي مقدمتها الديمقراطية التي عرفت منعطفات حاسمة وجديدة في مفهومها وتطبيقاتها بالنسبة إلى الشعب الجزائري بصفة عامة والثوار بصفة خاصة و"بذلك أخذ المشروع الثوري للشعب الجزائري، لأول مرة، ذلك المحتوى الديمقراطي الشعبي مبدأ وممارسة لا بالنسبة إلى تلك الأحزاب السياسية الوطنية فحسب، بل وبالنسبة إلى كل أفراد الشعب الجزائري أيضا" (حمانة، 2012، صفحة 232)، حيث استنار العقل الجزائري بفضل تنامي الوعي السياسي وأدرك أن من حقه المشاركة كطرف فعال في صنع القرار السياسي، وبهذا سوف تصدم فرنسا بإرادة شعب قوي متعطش للديمقراطية وعلى استعداد تام لفصل الشخصية المعنوية الجزائرية عن الفرنسية، من هنا يتبين لنا أن فلسفة الثورة الجزائرية جمعت في بوتقة واحدة كل من الثورة والديمقراطية، لتولد لنا مفهوم جديد

يتمثل في الثورة الديمقراطية، والتي امتدت آثارها إلى جل المجالات العسكرية والسياسية والاجتماعية وحتى الاقتصادية وبذلك ساهمت الثورة الديمقراطية في ميلاد واقع جديد للأمة الجزائرية.

يضيف البخاري حمانة في ثنايا مؤلفه هذا أساسا خامسا من الأسس الفلسفية للثورة الجزائرية والذي يكمن في التكامل، وهو يشكل الحلقة الرابطة بين ما هو نظري وما هو عملي، ويشكل بذلك الحصن الحصين الذي يحيي ثورة نوفمبر من الوقوع في مطبات الحركات السياسية أو انتفاضات المقاومات السابقة، والتي انتهت بمجازر دموية راح ضحيتها آلاف الأرواح، لذلك فالتكامل بين التفاؤل بالنصر والوضوح في الهدف، والعمل الجاد في الميدان والتشارك في التخطيط والقيادة بروح ديمقراطية، هو ما جعل من ثورة نوفمبر ثورة خالدة، لقد حققت هذه الثورة بفضل أبنائها من مختلف الطبقات الاجتماعية تكامل فريد من نوعه ينصهر فيه الوجداني مع الواقعي، ويلتقي الفكري مع العسكري ويتآلف العقلي مع الديني، فالثورة التحريرية حُضِنَ يتسع لكل من ينتمي إلى الجزائر رجالا ونساء، سواء كانوا مفكرين أو ثوريين أو رجال دين أو حتى الفلاحين والبسطاء، هذا هو التكامل الذي حققته على المستوى الداخلي.

أما على المستوى الخارجي فإن الثورة الجزائرية لم تكن تهدف إلى إجهاض المخططات الاستعمارية محليا فقط، بل كانت تهدف إلى تفكيك قلاع المستعمر في كل إفريقيا وهنا يكمن سر التكامل في الثورة الجزائرية بين النظري والعملي من جهة والداخلي والخارجي من جهة أخرى، لذلك فإن "مثل هذه النظرة الشمولية والمتكاملة هي التي مكنت لفلسفة نوفمبر من جعل كل تلك الأسس والمبادئ والقيم والأفعال تتلاقى وتتفاعل وتندمج وتتكامل في تلك الثورة التحريرية " (حمانة، 2012، صفحة 234)، لقد عرف أبناء الجزائري بفضل الخبرة والوعي المكتسب من المشاركة في الحربين العالميتين من نسج قيم إنسانية وأخلاقية للثورة الجزائرية كالحرية والديمقراطية والمساواة، وتشجيع هذه القيم بالأفعال الثورية لذلك كان نوفمبر بالنسبة إلى فرنسا هو بداية النهاية، وتحولت إفريقيا إلى مقبرة بالنسبة إلى الكيان الاستعماري، لأن الثورة الجزائرية أحييت الثقة لجل المستعمرات الإفريقية، وبثت فيها روح العمل من أجل التحرر، والعمل على تحقيق الوحدة الإفريقية تحت شعار الأراضي الإفريقية للإفريقيين فقط.

بناء على ما سبق يمكن القول أن النجاح الذي سوف يُكتب لثورة نوفمبر يُمثل أكبر شاهد على نجاعة العقل الجزائري وقدرته على التفكير والتخطيط الفلسفيين وبعد أن كانت الجزائر تمثل بوابة فرنسا والاستعمار الأوروبي لإفريقيا "أصبحت هي الهوة التي سقط فيها الاستعمار الفرنسي، وتهدمت فيها آمال الطغاة الغربيين" (فانون، 1980، صفحة 151) على حدّ تعبير فرانز فانون فالثورة الجزائرية بنظرياتها

وأسسها ومبادئها حركت الوعي الإفريقي مما انعكس بشكل سلبي على القوة الاستعمارية الغربية، وهنا يلتقي فانون مع البخاري حمانة في التأكيد على البعد الإفريقي للثورة الجزائرية.

المبحث الثاني: الحياة الثقافية أثناء الثورة التحريرية

إن فلسفة الثورة الجزائرية لم تكن منعزلة عن الحياة الثقافية، بل على العكس من ذلك كانت في خدمتها بحيث أن فلسفة الثورة "تعد من بين أهم فروع الفلسفة التي تعكس بصورة مباشرة الخصائص النفسية والفكرية والوجودية للشعب النابعة منه، تماما كما تعد كذلك السبيل الأمثل للوقوف على إبداعاته السياسية والفكرية والثقافية" (حمانة، 2012، صفحة 17)، إن الفكر الفلسفي لنوفمبر مثل مرآة عاكسة لخصائص الأمة الجزائرية، وكان يرمي إلى التأكيد على أصالة وإبداع العقل الجزائري في مختلف المجالات وأهمها المجال الثقافي، ويحاول الحفاظ على الهوية الثقافية الإسلامية للشعب الجزائري، وحمايتها من كل المخططات الاستعمارية الهادفة إلى هدمها أو تشويهها. لذلك يمكن القول أنه لا يمكن إقامة حدّ فاصل بين الفلسفة والثقافة بل على العكس من ذلك هنالك تآلف بينهما لأجل خدمة قضية الشعب الجزائري من جميع النواحي وعلى كافة الأصعدة.

المطلب الأول: الصراع الثقافي الجزائري الفرنسي

إن الصدام الجزائري الفرنسي بالرغم من أنه تميز في ظاهره بطابعه العسكري، إلا أن الثورة الجزائرية لا يكمن حصرها فقط في النزاع المسلح، لأن الصراع الذي خاضه أبناء الشعب الجزائري في جوهره هو صراع قيم، ونزاع هوية، وصدام بين ثقافتين، ثقافة جزائري عربية وفرنسية أوروبية تتميز كل واحدة عن الأخرى وتختلف عنها حدّ التناقض. وكانت فرنسا متيقنة أن نجاحها في السيطرة العسكرية على الأراضي الجزائري متوقف بالضرورة على الإطاحة بالمقومات القيمية والأخلاقية للمجتمع الجزائري.

الفرع الأول: السياسة الاستعمارية لطمس معالم الهوية الثقافية الجزائرية

إن الاستعمار الفرنسي منذ أن حط رحاله على الأراضي الجزائرية، أخذ في توطيد دعائمه المادية والثقافية والقيمية، لذلك فإن سياسة المستعمر لم تقتصر فقط على نهب ثروات الجزائر المادية، بل سخر كل قواه في سبيل تشويه وتهجين الثقافة الجزائرية العربية الإسلامية، وإيهام الرأي العام العالمي بأن المجتمع الجزائري مجتمع بلا هوية وبلا تاريخ وبعيد كل البعد عن الثقافة، وأن الدولة الفرنسية من خلال تواجدها في الجزائر حملت على حد تعبير الدكتور عمر بن قينة "دعوى رفع الجهل ونشر الثقافة والحضارة كجسر للاستحواذ على العقول والنفوس" (بن قينة، 2000، صفحة 24)، ففرنسا ادعت حمل رسالة الرجل الأبيض الذي نصب نفسه وليا على الدول المستعمرة حاملا على

عاقته مهمة إنقاذ هذه الدول من براثن التخلف والجهل والانحطاط، والارتقاء بهم نحو الحضارة، ومن هذا المنطلق يصبح الغزو مبررا منطقيا وأخلاقيا.

لكننا نجد بأن الممارسات الاستعمارية قد فندت الادعاءات السابقة إذ أنها كانت تهدف إلى تجريد الفرد الجزائري من هويته العربية الإسلامية وقمع الوعي الوطني، وما يفضح بشاعة الأساليب الاستعمارية هم الفرنسيين أنفسهم إذ صرح (توكفيل) عن استعمار فرنسا للجزائر قائلا: "لقد حطمنا المؤسسات الخيرية وأهملنا المدارس وحاربنا أماكن التعليم. .. وتوقف توظيف رجال الدين والقانون المسلمين. بمعنى آخر، أننا جعلنا المجتمع الجزائري أكثر بؤسا وأكثر جهلا وأكثر همجية مما كان عليه قبل أن يعرفنا" (حمادة، 2012، صفحة 100)، ففرنسا لم تنتشل المجتمع الجزائري من حمأة الأمية والجهل بل أغرقته فيه أكثر فأكثر، لأن الفرد الجزائري في نظر المجتمع النخبوي الفرنسي مجرد شخص همجي متخلف ليست له علاقة بالثقافة العربية ولا حتى الثقافة الفرنسية لذلك فهو فرد غير قابل لا تعليم ولا للتصحيح الحضاري أو الثقافي.

كانت السياسة الاستعمارية في المجال الثقافي مبنية على ثلاثة أساليب رئيسية وهي: أ-هدم وحرق كل أماكن التعليم، بما في ذلك المدارس والكتاتيب والزوايا والمساجد "لذلك قاد الاستعمار الفرنسي تلك الحملات الشرسة والشاملة على الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر وعلى كل المؤسسات التعليمية والدينية" (حمادة، 2012، صفحة 100)، فالحركة الاستعمارية الاستيطانية العسكرية الفرنسية قد تزامنت مع تخطيط فرنسي إداري مبني على قاعدة الأيديولوجيا العرقية الاستدمارية الهادفة لتخريب وتفكيك المكونات المعنوية للشخصية الجزائرية في مقدمتها الدين واللغة حيث قضت على كل مراكز التعليم وحلت محلها المدارس الفرنسية والكنائس وتولى رجال الدين مهمة التبشير وعملوا على محاربة اللغة العربية وهنا يلتقي البخاري حمادة مع أبو القاسم سعد الله في التأكيد على انتهاج فرنسا استراتيجيات مختلفة لمحو العربية بحيث "فرضوا اللغة الفرنسية في التعليم الابتدائي وغيرها من مؤسسات التعليم" (سعد الله، 1998، صفحة 20)، بالإضافة إلى تشجيع المستعمر مختلف اللهجات البربرية والعمل على توسيع الهوية بينها والغرض من ذلك هو إماتة اللغة العربية والقضاء عليها.

ب-التضييق على المعلمين ورجال الدين وإخضاعهم للرقابة الدائمة، إضافة إلى أنهم كانوا "يعانون مختلف المشاكل لأنهم هدف لاضطهاد الاستعمار وقمعه، وكانوا يتعرضون للحبس والتغريم والمحاكمة كالمجرمين" (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 2007، صفحة 57)، ولم تتوقف فرنسا عن هذا الحد بل تعدته إلى نفي وإعدام، ومن أبرز الأمثلة في هذا المقام زروقي الشيخ بن الدين المعلم الذي سُجن، والعربي التبسي رئيس جمعية العلماء المسلمين الذي أُعدم.

إن الأسلوبين السابقين يمثلان تمهيدا لسياسة استعمارية أخرى شديدة الخبث والبشاعة وهي سياسة الفرنسية ، والمقصود بسياسة الفرنسية حسب الأستاذ تركي رابح "هي إحلال اللغة الفرنسية وثقافتها محل اللغة العربية وثقافتها في الجزائر، حتى ينسى الجزائريون بمرور الزمن لغتهم وثقافتهم القومية ويستعوضون عنها باللغة والثقافة الفرنسية" (تركي، 1981، صفحة 104)، يتضح أن الهدف من سياسة الفرنسية هو تصيير اللغة الفرنسية لغة رسمية، والقضاء في مقابل ذلك على اللسان العربي الجزائري ومن خلال سيطرة اللغة الفرنسية على جميع أماكن التعليم والإدارات يتم استبدال الثقافة الجزائرية بالثقافة الفرنسية، ولقد نجحت فرنسا من خلال هذه السياسة في تكوين جيل هجين فاقد لهويته الأصيلة يطالب بإدماج الجزائر بفرنسا.

انعكست هذه الأساليب الاستعمارية بصورة جد سيئة على واقع الجزائر الثقافي، إذ أدت إلى تجهيل الأهالي وانتشار الأمية. لكن هذا لم يثبط عزيمة الشعب الجزائري، ولم تنجح المحاولات الفرنسية المختلفة سواء العنيفة أو المغرية في استئصال أبناء الجزائر من أصولهم الثقافية العربية الإسلامية وكانت لهم ردود فعل جد قوية على مثل تلك الأساليب.

الفرع الثاني: المقاومة الثقافية

لقد نجح الشعب الجزائري وبالرغم من توالي الحملات الاستعمارية على الشمال الإفريقي بشكل عام وعلى الجزائر بشكل خاص لقرون طويلة من الزمن، في بناء ثقافته الخاصة العريقة والأصيلة والحفاظ عليها من كل أشكال المسخ والتشويه، التي مارسها الاستعمار عامة والغزو الفرنسي بوجه خاص حيث وقف أبناء الجزائر مثل الحصن المنيع في وجه كل السياسات الاستعمارية الفرنسية في الميدان الثقافي، لذلك تبنا مقاومة ثقافية إلى جانب الكفاح المسلح معتمدين في ذلك على مرجعيتهم الدينية والثقافية.

عمل الجزائريون على مقاومة سياسة الفرنسية، وذلك عن طريق التمسك باللغة العربية كلغة رسمية للمجتمع الجزائري، وفي ظل الاضطهاد والتضييق من قبل المستعمر ثقافيا وعسكريا وسياسيا لجأت النخبة المثقفة إلى الدول العربية الشقيقة من أجل التعلم، وكانت وجهتهم في الغالب إلى جامع الزيتونة بتونس أو جامع الأزهر بمصر، بحيث "كان حظ جامع الأزهر وحده وفي النهاية، من الطلبة الجزائريين سنة 1910 أكثر من حظ مدرسة الجزائر، ومدارس باريس مجتمعة" (حمادة، 2012، صفحة 102) فبالرغم من المدارس الفرنسية المكثفة ومن إغراءات الجامعات الفرنسية والأوروبية مجتمعة إلا أن أبناء الجزائر أبو إلا أن يستمسكوا باللغة العربية، وبالتعليم والعربي. وحتى الجزائريين الذين درسوا

في المدارس الفرنسية، قد سخرت اللغة الفرنسية لخدمة القضية الجزائرية والتعريف بها في المحافل الدولية.

أجهض الجزائريون وبالرغم من إحراق فرنسا الزوايا والمساجد والكتاتيب سياسة التنصير والتبشير وذلك عن طريق النوادي الثقافية والجمعيات بحيث تصدرت جمعية العلماء المسلمين لكل مخططات الاستخرا ب الخبيثة وحملت على عاتقها مهمة إحياء الوعي الثقافي والديني للفرد الجزائري ومحاربة كل أشكال التمزيق الثقافي فعندما "ظهرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قاومت التنصير وهاجمته بقوة، وسخرت صحفها ودروس المساجد إلى كشف مخططاته" (سعد الله، 1998، صفحة 140) يؤكد سعد الله هنا مثلاً أكد البخاري حمادة سابقاً أن ثورة نوفمبر حملت رسالة إعادة إحياء الوعي الفكري والثقافي وأدت إلى فشل فرنسا في زرع بذور التقسيم الديني والطائفي داخل ثنايا مجتمعنا .

إن الصمود وقوة العزيمة التي تحلى بها أبناء الجزائر في مواجهة الحملات الاستعمارية الهادفة للقضاء على الهوية الجزائرية، كلل في نهاية المطاف بفشل المخططات الاستعمارية، وظل الشعب الجزائري بمختلف طبقاته الاجتماعية متمسكا وبقوة بثقافته العربية الأصيلة، ووجد المستعمر نفسه في نهاية المطاف أمام معضلة أكثر تعقيدا تتمثل في مجابهة ومناهضة الطبقات المثقفة لفكرة الاستعمار.

المطلب الثاني: رد فعل رجال الفكر والثقافة على النوفمبرية

لقد تباينت ردود فعل النخب المثقفة الجزائرية والفرنسية من الثورة الجزائرية بين مؤيد ومعارض وبين متخوف ومحيد، وهذا الاختلاف راجع إلى تنوع الخلفيات الأيولوجيا وتعددتها سواء بالمثقفين الجزائريين أو الفرنسيين، إضافة إلى أن وجهة نظرهم إلى حدث نوفمبر سوف تكون متولد بالضرورة عن موقفهم من الاستعمار ككل.

الفرع الأول: رد فعل المثقف الجزائري

بالرغم من أن الشعب الجزائري قد احتضن الثورة بحماس شديد إلا أن مواقف المثقفين الجزائريين قد اختلفت إزاءها، خاصة أننا ذكرنا سابقاً أن فرنسا قد نجحت في تكوين جيل متشبع بالثقافة الفرنسية مطالب بإدماج الجزائر بفرنسا، لذلك من الصعب أن نصل إلى موقف موحد اتجاه هذه القضية، وسوف نجد أنفسنا أمام ثلاثة مواقف، الأول مساند للثورة من حيث مبادئها وأسلوبها وأهدافها، أما الثاني كان رافض لأسلوب العنف والقتال، وداعي إلى البحث عن حلول سياسية سلمية أما الثالث فقد كان رافض تماماً للثورة وداعم لاستمرار تواجد فرنسا على الأراضي الجزائرية.

من المؤكد أن النخب الواعية، المثقفة، المدركة لحقيقة الاستعمار قد وفقت في صف مساندتها للثورة، واعتبروا أن الفاتح من نوفمبر يمثل ميلاد جديد لدولة جزائرية كريمة وشريفة. ولقد رأى المحامي مولاي مرباح أن ما حدث في الجزائر جزء من الحركة التحريرية التي عرفتها شمال إفريقيا آنذاك إذ أن حدث أول نوفمبر 1954 "يحمل نفس الدلالة التي تحملها الأحداث التي كانت تعرفها كل من تونس والمغرب... ويتطلب بالتالي نفس الحلول المتطابقة مع تطلعات شعب شمال إفريقيا" (حمانة، 2012، صفحة 148)، يشير هنا البخاري حمانة إلى تأثير الوعي الجزائري بالحركات التحريرية في كل من تونس والمغرب، وسعي الجزائر للاقتداء لتحرير الجزائر من قبضة المستعمر.

كما أن جمعية العلماء المسلمين بالرغم من تخوفها من نتائج الثورة في البداية إلى أنها ساندتها في بيانها الصادر في يناير 1956 حيث أشار إلى دورها نايت بلقاسم في كتابه "ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرة الفاتح نوفمبر" وقد أعلن البيان "أن كل سياسة مبنية على ترقيع الماضي وإجراء إصلاحات على قاعدة النظم الاستعمارية الحالية، مهما تغير اسمها إنما هو من قبيل العبث والاستهتار والإمعان في النج بالأمّة الجزائرية في مضيق اليأس الذي لا يحدث إلا الانفجار" (نايت بلقاسم، 2004، صفحة 74) هذا إن دل على شيء إنما يدل على إقدام الجمعية على الوقوف في صف الثورة التحريرية وقد كان حمانة قد أكد هذه المساندة من طرف الجمعية للثورة في مؤلفه "فلسفة الثورة"، وتقويض كل المواقف التي كانت تدعو إلى محاولات التصالح مع المستعمر. وهذا يمثل الصنف الأول.

أما الصنف الثاني كان يدعم الأهداف التي تنشدها ثورة نوفمبر، لكنه كان رافض للأسلوب الذي قامت عليه، ومن أهم ممثليه فرحات عباس الذي دعا إلى ضرورة البحث عن حلول سياسية والابتعاد عن كل أشكال العنف خوفا من النتائج الكارثية التي يمكن أن يتكبدها الجزائريون في حال فشل الانتفاضة الثورية، مثلما حدث في الانتفاضات السابقة، ومن هذا المنطلق عبر عن "رفضه المبدئي للعنف كوسيلة لحل القضية الوطنية الجزائرية، نظرا إلى أنه لا يحل شيئا" (حمانة، 2012، صفحة 156)، وفرحات عباس كان منبهرا بالتفوق العسكري للجيش الفرنسي، ولكنه أدرك بعد مضي عامين من اندلاع الثورة، أن المفاوضات السياسية التي كان يتغنى بها ويدعو إليها لا جدوى منها، بل هي جزء من المخطط الاستعماري الفرنسي لذلك انظم يوم 24 أبريل 1956 إلى ثورة التحرير الكبرى.

يمثل الصنف الثالث وصمة العار الخالدة لدى بعض الجزائريين الذين أكدوا ولائهم للوجود الاستعماري وكان لهم موقف معادي اتجاه ثورة نوفمبر إذ عملوا على نشر الادعاءات الكاذبة وأبرز مثال هنا نجد رئيس المجلس العام لعمالة الجزائر عبد القادر السايح الذي صرح قائلا عن أحداث أول نوفمبر: "لقد أغرق عمل إرهابي فريد من نوعه عمالتنا الجزائرية كلها في الدم، فباسمكم واسمي

الخاص أود أن أعبر عن تأثرنا وسخطنا وعن استنكارنا المطلق لهذه الجرائم ومقترفها" (نايت بلقاسم، 2004، صفحة 92)، لقد أكد البخاري حانة على أطروحة نايت بلقاسم المتضمنة في نجاح فرنسا في سلخ وتعرية بعض الأفراد من انتمائهم القومي والأيديولوجي عن طريق سياسة الإغراء، ومكان منهم إلا أن يصفوا العمل الثوري بالعمل الإرهابي على غرار ما فعلت الصحافة وبعض رجال الفكر الفرنسي. إن تباين مواقف رجال الفكر والسياسية الداعمة للثورة ساهمت في إثراءها ودفعها للأمام، وحتى مواقف دعاة الإدماج لم تؤثر على إرادة الشعب الجزائري الذي رفع شعار الحرب والقطيعة مع كل ما هو فرنسي. وسوف نجد بأن هذا التباين في المواقف قد اتسع ليشمل مواقف المثقفين الفرنسيين.

الفرع الثاني: رد فعل المثقف الفرنسي

انقسم رجال الفكر الفرنسيون في موقفهم إزاء ثورة نوفمبر إلى موقفين متعارضين، فهناك من حمل شعار الوفاء للدولة الفرنسية وبالتالي تأييد وتأكيده كل الممارسات الاستعمارية في الجزائر والرفض القاطع لثورة التحرير، بينما هنالك من كان وفيًا لمبادئه الأخلاقية والإنسانية وبالرغم من أصوله الفرنسية قد أبدى مساندته التامة لثورة نوفمبر ولحق الشعب الجزائري في الحرية والديمقراطية وحقه في تقرير مصيره، شأنه في ذلك شأن دول العالم كافة، وهذا يعبر عن المشاركة الوجدانية الأخلاقية الهادفة لتجسيد الديمقراطية والمساواة كقيم إنسانية بين جميع الناس مهما اختلفت أجناسهم وأعراقهم.

إن الموقف الداعم للممارسات الاستعمارية الفرنسية على الأراضي الجزائرية كان شديد التعلق بالفكرة القائلة أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا، وحاول أن يغطي الأساليب البشعة للمستعمر بدعوى التنوير الحضاري والثقافي، إذ نجد ألبرت كاميو يقول "لا توجد أمة جزائرية، وأن الجزائريين هم امتزاج لشعوب مختلفة، والأقدام السوداء هم السكان الأصليون والحقيقيون للجزائر" (عمراني، 1995، صفحة 78)، هذا القول الذي نقله لنا الدكتور عمراني يتقاطع مع ما أورده البخاري حمانة في فلسفة الثورة حيث يتفق كاميو وغيره من المثقفين الفرنسيين على التكريس لهيمنة الامبريالية الفرنسية المتوحشة على الدول المستعمرة والتي تعد الجزائر أهمها وأبرزها.

ذهب الفرنسيون إلى أبعد من ذلك إذ اعتبروا أن ثورة نوفمبر ليست سوى عمل من أعمال الفلاحة أو هي مجرد اعتداءات إرهابية، إذ صرح (جاك شوفالييه) قائلاً "إن الحكومة لن تقبل، بأية صفة كانت بأي عمل إرهابي فردي ولا جماعي، وإن جميع التدابير الصارمة ستتخذ" (نايت بلقاسم، 2004، صفحة 90) لذلك دعت إلى ضرورة التحرك الأمني السريع من أجل خنق هذه الأعمال وتحطيم كل أشكال التمرد وحاولوا بكل الوسائل والطرق تشويه صورة الثورة الجزائرية أمام الرأي العام العالمي.

في حين هنالك العديد من المفكرين الفرنسيين، قد تحلوا بالكثير من الشجاعة وأعلنوا بشكل علني وفائهم لمبادئهم الأخلاقية والإنسانية ورفضهم للاستعمار الفرنسي ولممارسته اللاإنسانية ضد التي تمس بكرامة الإنسان من قتل وتشريد واغتصاب وتعذيب وتهجير ونفي، من أمثال مواقف "ج. كومبو فليسيان شالي وغيرهم هي التي أدانت بوضوح الاستعمار، مبدأ وممارسة" (حمادة، 2012، صفحة 135)، رفض هؤلاء الفلاسفة التبريرات الوهمية والشعارات الفارغة التي غطت بها فرنسا جرائمها الشنيعة الرامية لتذويب الهوية الجزائرية، وأدركوا مدى عمق الجراح الثقافية والسياسية والاقتصادية وحتى النفسية التي خلفها الاستعمار على المستوى الفردي والاجتماعي للأمة الجزائرية.

يجد هذا الموقف سنده كذلك لدى زعيم الفلسفة الوجودية جون بول سارتر، هذا الفيلسوف عبر عن موقفه الواضح والصريح اتجاه القضية الجزائرية وعن حق الشعب الجزائري في الحرية لأنها تمثل مطلب إنساني ضروري، وقد عبر عن آرائه من خلال جريدته الأزمّة الحديثة 'Temps Moderne' أما عن "أول مقال كتبه سارتر عن نفسه وعن الثورة الجزائرية، فكان في مارس 1956 بعنوان 'الكولونيالية عبارة عن نظام' يبرز فيه الميكانيزمات الاقتصادية والسياسية للاستعمار، ويدعوا إلى محاربته، فوضع بذلك اللبنة الأولى لجهة ثقافية مناهضة للاستعمار" (بتقة، 2015، صفحة 61) ومن هذا التاريخ تولدت علاقة جدلية بين سارتر والدولة الفرنسية، إذ تعرض للكثير من المضايقات بسبب موقفه هذا لكنه ظل وفيا لمبادئه القيمية والأخلاقية بحيث نادى لاحقا بالاعتراف بالدولة الجزائرية واستقلالها التام عن الدولة الفرنسية.

خاتمة:

إن القراءة التي قدمها مفكرنا البخاري حمادة لثورة نوفمبر 1954، من خلال مؤلفه "فلسفة الثورة الجزائرية"، لم يكن الهدف منها التأريخ لهذا الحدث، لأن هذا شأن الدراسات التاريخية، وإنما كان يريد من خلال مؤلفه إبراز الكثير العمق الثقافي والمرجعية الأيديولوجية لها وعليه نخرج بالنتائج التالية:

- إن الثورة الجزائرية لم تكن مجردة من المنطلقات الفكرية، إذ كان لنوفمبر فلسفته الخاصة التي انطلقت من فرضيات، وبنيت على أسس نظرية وعملية، ساهمت في نجاح ثورة التحرير الجزائرية على المستوى الإفريقي والعالمي.

- استطاع أبناء الشعب الجزائري من إشعال نار لهيب الثورة التحريرية، ضد واحدة من أعنى القوى الاستعمارية آنذاك، حاملين بذلك شعار الحرية والكرامة والديمقراطية متمسكين بوحدة الأرض

الجزائرية ورافضين لكل الحلول الترقيعية، محتذين في ذلك بالحركات التحررية في البلاد العربية بالمغرب وتونس، والعالمية كالهند الصينية.

- فلسفة الثورة الجزائرية لم تكن منعزلة عن المشهد الثقافي في الجزائر إبان الاستعمار، بل على العكس من ذلك، إن تلك الفلسفة كانت متناغمة مع الهوية الثقافية الجزائرية ومكوناتها المستمدة من الدين الإسلامي واللغة العربية.

- إن المقاومة التي خاضها أبناء الشعب الجزائري ضد المستعمر الفرنسي ليست مقاومة مسلحة فقط بل كانت معركة ضارية من أجل، تفنيد كل الادعاءات التي رأت بأن الشعب الجزائري هو شعب همجي وبربري من ناحية، والحفاظ على العناصر الثقافية المكونة للهوية الوطنية الجزائرية العربية من ناحية أخرى. لذلك فإن صلابة الفكر الإيديولوجي الجزائري أدت إلى إحباط كل المخططات الاستعمارية سواء كانت قائمة على الترغيب أو التهيب، وبالتالي إماتة وإذابة القوة الاستعمارية في الجزائر وإفريقيا.

المصادر والمراجع

أبو القاسم سعد الله. (1998). تاريخ الجزائر الثقافي (المجلد 06). بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
أبو القاسم سعد الله. (1992). الحركة الوطنية (1900-1930) (الإصدار 4، المجلد 2). بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.

أبو القاسم سعد الله. (2007). تاريخ الجزائر الثقافي (المجلد 10). الجزائر، الجزائر: دار البصائر.
البخاري حمادة. (2012). فلسفة الثورة الجزائرية (الإصدار 1). الجزائر، الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع.
بول. ف. بولر. الحرية والقدر في الفكر الأمريكي من إدواردز إلى ديوي. (إسماعيل كشميري، المترجمون) مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.

خالد فوزي يعقوب المحاسنة. (2022). مفهوم الاستعمار والقبالية للاستعمار في فكر مالك بن نبي. مجلة الناقد للدراسات السياسية، المجلد 06 ، صفحة 15.

رابح تركي. (1981). التعليم القومي والشخصية الوطنية (الإصدار 3). الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
سليم بتقة. (2015). الثورة الجزائرية في كتابات المثقفين الفرنسيين -سارتر نموذجاً-. مجلة المخبر (11).
عمر بن قينة. (2000). المشكلة الثقافية في الجزائر (التفاعلات والنتائج) (الإصدار 1). عمان، الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع.

عمراني عبد المجيد. (1995). النخبة المثقفة والثورة الجزائرية (1954-1962). باتنة: مطبعة دار الشهاب.
فرانز فانون. (1980). من أجل إفريقيا. (محمد الميلي، المترجمون) الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
مولود قاسم نايت بلقاسم. (2004). ردود الفعل الأولية داخلاً وخارجاً على غرة نوفمبر أو بعض مآثر الفاتح نوفمبر. الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة و النشر والتوزيع.

يوسف قاسمي. (2009). مواعيق الثورة الجزائرية ، دراسة تحليلية نقدية. باتنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، الجزائر.